

# الجمود الفكري.. والتطرف

تحليل فلسفي - سيكولوجي

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocQassimIntelStagn&Extremism.pdf>

أ.د. قاسم حسين صالح

مؤسس ورئيس الجمعية النفسية العراقية

[qassimsalihi@yahoo.com](mailto:qassimsalihi@yahoo.com)



## الحلقة الأولى

شاع في السنوات الأخيرة مفهوم (التطرف) وكثر تداوله سياسياً ودينياً وإعلامياً، وحدث خلط بين ثلاثة مفاهيم (الجمود الفكري والتعصب والتطرف) نجم عنه فوضى فكرية واحكام خاطئة على افراد وجماعات وتنظيمات سياسية.

في هذه الحلقة من المقالة التحليلية، نكشف عن الاختلافات فيما يبدو متشابهاً، والتشابهات فيما يبدو مختلفاً بين هذه المفاهيم الثلاثة.. التي يتداولها السياسيون والإعلاميون وكأنها شيئاً واحداً.. يتبعه تحليل لسلوك وخصائص شخصية الجامد فكرياً والمتعصب والمتطرف، يلقي الضوء على احد أهم واخطر اسباب الأزمات السياسية والاجتماعية.

الجمود الفكري هو ترجمة لمصطلح (الدوجماتية) (Dogmatism) الذي يترجم أيضاً إلى: الجمود العقائدي، الجزمية الفكرية، القطعية، العقيدية.. غير ان اكثرها تداولاً هو اصطلاح الجمود الفكري. ولقد انشغل الفلاسفة بتحديد مضمون (الدوجماتية.. الجمود الفكري)، فمنهم من وصفها بأنها طريقة مغلقة للتفكير، يمكن ان تصاحب اية ايديولوجية بصرف النظر عن محتواها ما اذا كانت دينية او علمانية. ومنهم من وصفها بأنها تنظيم معرفي مغلق نسبياً خاص بمعتقدات ولامعتقدات الشخص بخصوص الحقائق والوقائع والسلطة المطلقة. ومنهم من رأى ان الدوجماتية مفهوم افتراضي يجمع بين عناصر من السلوك والآراء والأحكام الاعتقادية التي تقوم على التعلق بموروثات لا يتوافر على صحتها اي دليل منطقي.. فيما حددها آخرون بعدم قدرة الفرد على تغيير افعاله او اتجاهاته حتى لو تطلب الموقف ذلك، وحددها آخرون بأقوال مطلقة من غير سند او برهان، ووصفها آخرون بأنها صفة الأفراد الذين يسعون إلى فرض آرائهم بالسلطة، او بالنفوذ، وانتهى آخرون إلى انها الاعتقاد الجازم واليقين المطلق المستند إلى مبادئ تقليدية راسخة دون البحث عن وجه الحق في التسليم بها.

وبفعل ما حصل من كوارث بشرية فان الجمود الفكري اغرى علماء النفس والاجتماع والفلسفة أيضاً. فعلماء الاجتماع يعزون الجمود الفكري (الدوجماتية) إلى الجماعة التي ينشأ فيها الفرد بوصفها هي التي تساهم في صياغة القيم والثقافة والتصورات الاجتماعية والمقارنة بين الجماعات. ويرون انه من خلال عملية التمثل هذه تتكون لدى الفرد صورة ايجابية عن جماعته، وطائفته.. تؤدي إلى تحيزات معرفية وسلوكية نحو الجماعات الأخرى.

شاع في السنوات الأخيرة مفهوم (التطرف) وكثر تداوله سياسياً ودينياً وإعلامياً، وحدث خلط بين ثلاثة مفاهيم (الجمود الفكري والتعصب والتطرف)

انتهى آخرون إلى انها (الجمود الفكري) الاعتقاد الجازم واليقين المطلق المستند إلى مبادئ، تقليدية راسخة دون البحث عن وجه الحق في التسليم بها

كان لشيخ النفسانيين، فرويد، رأي يبدو غريباً لكثيرين، إذ انه يعتبر الجمود الفكري شكلاً من المثلية الجنسية، أو العجز اللواطى المكبوت، وانها تصيب الرجال.. وتنشأ في مرحلة الطفولة بعقدة أوديب.. التي تعاود الظهور في مرحلة الرشد حين يواجه الرجال أزمة انفعالية

ان النظريات الحديثة توصلت إلى ان الدوجماتية لا تتحدد فقط ببعدها الفكري بل لها بعد سيكولوجي!

وجدت الدراسات ان المرضى المصابين باضطراب في الجهاز

العصبي يكون التصلب  
والجمود في السلوك صفة  
اساسية لهم

ان الشخص المصاب  
بالدوجماتية يكون جواره  
العصبي مختلفا عن الفرد  
المنفتح عقليا، اذ لا يكون  
قادرا على تقديم الاستجابة  
المناسبة للموقف المناسب ولا  
يستطيع ان يعزل نفسه عن  
الموقف الذي هو فيه او يحلل  
الحادث بتجريد نفسه عنه!

الجمود الفكري يعد من وجهة  
نظر علماء النفس والاجتماع  
السبب الرئيس للخلافات السياسية  
التي غالباً ما تنتهي بحروب

اما التعصب فهو اتجاه سلبي  
غير مبرر نحو الفرد، قائم على  
أساس انتمائه الى جماعة معينة  
لها دين أو طائفة أو عرق  
مختلف، أو اتجاه عدائي نحو  
جماعة معينة قائم على أساس  
الانتماء اليها.

وفق نظرية التصنيف الاجتماعي  
فان الناس ينزغون الى تصنيف  
عالمهم الاجتماعي الى صنفين "  
نحن" (أو الجماعة الخاصة  
بالفرد) و "هم" (أو الجماعة  
الآخري)

ان العداء بين الجماعات يمكن  
ان يظهر حتى في غياب  
تضارب المصالح، فمجرد الانتماء  
الى جماعة معينة يمكن ان

وكان لشيخ النفسانيين، فرويد، رأي يبدو غريبا لكثيرين، اذ انه يعتبر الجمود الفكري شكلا من  
المثلية الجنسية، او الحب اللواطى المكبوت، وانها تصيب الرجال.. وتتسأ في مرحلة الطفولة بعقدة  
أوديب.. التي تعاود الظهور في مرحلة الرشد حين يواجه الرجال ازمة انفعالية. ويرى ان اصحاب  
الجمود الفكري يمارسون آلية الاسقاط ليدافعوا بها ضد مشاعرهم ودوافعهم غير المقبولة. ويخلص  
الى ان ضعف الأنا الناشيء في بيئة جامدة يمثل مركزية بنية الجمود الفكري.. بمعنى ان البيئات  
المنفتحة تعمل على خلق عقول منفتحة وان البيئات المنغلقة تخلق عقولا جامدة فكريا.

واللافت ان النظريات الحديثة توصلت الى ان الدوجماتية لا تتحدد فقط ببعدها الفكري بل لها بعد  
فسيولوجي! اذ وجدت الدراسات ان المرضى المصابين باضطراب في الجهاز العصبي يكون  
التصلب والجمود في السلوك صفة اساسية لهم. وتوصلت دراسات لاحقة الى نتيجة تثير الدهشة.. هي  
ان الشخص المصاب بالدوجماتية يكون جهازه العصبي مختلفا عن الفرد المنفتح عقليا، اذ لا يكون  
قادرا على تقديم الاستجابة المناسبة للموقف المناسب ولا يستطيع ان يعزل نفسه عن الموقف الذي  
هو فيه او يحلل الحادث بتجريد نفسه عنه!

ولأن الجمود الفكري يعد من وجهة نظر علماء النفس والاجتماع السبب الرئيس للخلافات  
السياسية التي غالباً ما تنتهي بحروب، وأنه (مرض) خالقي الأزمات من القادة السياسيين، فقد ظهرت  
حوله نظريات اشهرها نظرية روكيتش التي تناولها في كتابه (العقل المنفتح والعقل المنغلق). وعلى  
وفق هذه النظرية فأن الافراد منفتحي العقول (غير الدوجماتيين، غير المنطرفين)، هم الذين يقبلون  
التخلى عن بعض معتقداتهم اذا ما اقتنعوا بخطأها، ويقبلون الافكار الجديدة اذا ساندتها ادلة قوية. اما  
الافراد منغلقي العقول (الدوجماتيون، المنطرفون) فهم الذين يرفضون الافكار الجديدة مهما كانت قوة  
الادلة التي تساندها، ويتشبثون بمعتقداتهم القديمة حتى ان ثبت خطأها.

اما التعصب فهو اتجاه سلبي غير مبرر نحو الفرد، قائم على أساس انتمائه الى جماعة معينة  
لها دين أو طائفة أو عرق مختلف، أو اتجاه عدائي نحو جماعة معينة قائم على أساس الانتماء اليها.  
ويعني أيضا" اصدار حكم غير موضوعي بشأن جماعة معينة، والنظرة المتدنية لجماعة أو خفض  
قيمتها أو قدراتها أو سلوكها أو صفاتها ليس لها أساس منطقي .

وعلى وفق نظرية التصنيف الاجتماعي فان الناس ينزغون الى تصنيف عالمهم الاجتماعي الى  
صنفين " نحن" (أو الجماعة الخاصة بالفرد) و "هم" (أو الجماعة الآخري). وانهم يتحيزون  
لجماعتهم ويبالغون ويعظمون ايجابياتها ويغضون اعينهم عن سلبياتها، فيما يعمدون الى تضخيم  
سلبيات الجماعة الآخري وغض الطرف عن ايجابياتها.

وثمة معلومة مهمة، هي ان العداء بين الجماعات يمكن ان يظهر حتى في غياب تضارب  
المصالح، فمجرد الانتماء الى جماعة معينة يمكن ان يكون سببا كافيا لظهور التعصب ضد جماعة  
أخرى.

يكون سببا كافيا لظهور  
التعصب ضد جماعة أخرى.

توصلت الدراسات  
السيكولوجية الى ان الجامد  
فكريا لا يسمع الا نفسه ولا يرى  
غيره ولا يتقبل الراي الاخر

الدوجماتي غير قادر على  
التخلي عن اراءه حتى لو بدا  
له خطأها

صاحب الفكر المنفتح الذي  
يتشوق لمعرفة الجديد سواء كان  
موافقا لما يرى ام مخالفا له

اللغة التي يستخدمها الشخص  
الدوجماتي تميل الى المغالاة  
والقطعية (فلان دائما كذوب،  
انا لا اقول هذا ابدا، كلامك لا  
يمكن قبوله قطعا..).

صاحب الفكر المنغلق لا  
يشعره بأنه شخص عقلاني  
منطقي، كما ان حساسيته  
لمشاعر الآخرين تكون ضعيفة

ان شخصية صاحب الجمود  
الفكري تعطيك انطباعا بأن  
لديه جوابا لكل سؤال

الجمود الفكري المزمع يفضي  
الى التعصب ويعمل على تشكيل  
شخصية بمواصفات معينة،  
او ضمنا.. طلبة الراي التي لا

لقد قدم هذا التحليل فكرة او معرفة علمية بخصوص الجمود الفكري، لكنه لم يحل بعد اشكالية  
التداخل بين المفاهيم الثلاثة.. ولم يجب على اهم ثلاثة اسئلة: "من" ينتج "من"؟، وهل للشخصية  
الدوجماتية صفات تميزها عن الشخصيات الأخرى؟، وهل يصح ان نصف الجامد فكريا بأنه  
متعصب، وان المتعصب يكون بالضرورة متطرفا؟. فضلا عن مفهوم شائع بين السياسيين  
والمفكرين، هو ان المتدينين يكونون متعصبين وأن المتقنين متحررين وغير متعصبين ، فهل هذا  
صحيح ام فيه رأي آخر ؟

## الحلقة الثانية

اشرنا في الحلقة الأولى الى ان الذي دعانا الى كتابة هذا التحليل، هو حصول فوضى فكرية  
واطلاق احكام خاطئة على افراد وجماعات وتنظيمات سياسية، ناجمة عن خلط بين مفاهيم الجمود  
الفكري والتعصب والتطرف. وقد منّا معرفة جديدة تؤشر الاختلافات فيما يبدو بينها من  
تشابهات، وانتهينا باسئلة عن اشكاليات وعدنا بتقديم اجاباتها في هذه الحلقة.. نبذوها بما اذا كانت  
شخصية الجامد فكريا لها صفات تميزها عن الشخصيات الأخرى.

لقد توصلت الدراسات السيكولوجية الى ان الجامد فكريا لا يسمع الا نفسه ولا يرى غيره ولا  
يتقبل الراي الاخر، وليس هذا بسبب عدم كفايته الشخصية وانما بسبب شعور صاحب الجمود الفكري  
بأنه منبوذ من قبل الآخرين.. فيما حددت دراسات اخرى خصائص الشخصية الدوجماتية بالآتي:

· الرفض السريع لأي دليل او مناقشة تتعارض مع معتقداتها.

· النظر الى الامور الجدلية على انها ابيض واسود فقط.

· الانغلاق الذهني على معتقدات وقيم معرفية خاصة بها .

واضافت هذه الدراسات بأن الدوجماتي غير قادر على التخلي عن اراءه حتى لو بدا له  
خطؤها، بعكس صاحب الفكر المنفتح الذي يتشوق لمعرفة الجديد سواء كان موافقا لما يرى ام  
مخالفا له. وان اللغة التي يستخدمها الشخص الدوجماتي تميل الى المغالاة والقطعية (فلان دائما  
يكذب، انا لا اقول هذا ابدا، كلامك لا يمكن قبوله قطعا..). وان صاحب الفكر المنغلق لا يشعر  
بأنه شخص عقلاني منطقي، كما ان حساسيته لمشاعر الآخرين تكون ضعيفة، لذا تجده يعبر عن  
افكاره دون الاخذ في الاعتبار مشاعر المستمعين. واللافت، ان شخصية صاحب الجمود الفكري  
تعطيك انطباعا بأن لديه جوابا لكل سؤال، والسبب في ذلك ان ممارسته للمشاركة في التحدث قائمة  
على عدد محدود من مبادئ ومفاهيم جاهزة وقطعية.. يحفظها عن ظهر قلب .

وسيكولوجيا، يوّد الفكر المنغلق لدى صاحبه نوعا من الارتباك والتناقض، وغالبا ما يجعله يخسر  
انسجامه الذاتي ويعجز عن ادراك مدى منطقية اعماله واتساق مقدماته مع نتائجه، فيعمل من حيث  
لا يقصد. لصالح خصومه، ولك ان تلاحظ ذلك في (المناظرات التلفازية العربية.!).

تسمع له بأن يتزحزح عنه،  
والميل الى التسلط والعدوان

والجمود الفكري المزمّن يفضي الى التعصّب ويعمل على تشكيل شخصية بمواصفات معينة، اوضحها..صلابة الرأي التي لا تسمح له بأن يتزحزح عنه، والميل الى التسلط والعدوان الذي يسقطه على الجماعات او الاشياء التي يتعصب ضدها. وسيكولوجيا، يجد المتعصبون في احقادهم على الاخرين تفسيراً مبرراً عن دوافعهم ورغبتهم المكبوتة بما فيها الانتقام.

ان التطرف ليس مجردّ مجاوزة حد الاعتدال او الخروج عن المؤلف، وانما هو (خلاصة) الدوجماتية، وجوهر الاتجاه العام الذي تتمحور حوله كل الجماعات المسماة (المنطرفة)، ناجم عن نظام (كونكريتي) مغلق للتفكير يصد أية معتقدات او آراء تختلف عما في داخل هذا النظام.

كما ان التطرف حالة من تعصّب (كونكريتي) للرأي بشكل لا يعترف معه بوجود الاخرين، وجمود على فهم لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الناس ولا مقاصد الشرع، ولا ظروف العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الاخرين.

والتطرف يعني ايضا. استجابة ثابتة في شخصية صاحبها، تعبّر عن الرفض والاستياء تجاه ما هو قائم بالفعل بالمجتمع، وتعكس مجموعة من الخصائص المميزة للشخصية المنطرفة مثل السيطرة، المغايرة، ضعف الأنا، التي تحصرها بزواية حادة تضعها بين خيارين: اما استسلام الآخر لها، واما انهاؤه .

ولقد اكتشفت الدراسات السيكلوجية عن ان البعد الخاص بالامتداد الزمني له علاقة بالجمود الفكري والتطرف. ووجدت ان المنظور الزمني المتسع هو الذي يتم فيه ادراك الماضي والحاضر والمستقبل بشكل مترابط، فيما المنظور الزمني الضيق هو الذي يتمسك فيه الفرد بشكل متشدد، او يتشبث بزمن واحد سواء الماضي او الحاضر او المستقبل، بدون تقدير للتواصل والارتباط الموجود بينها.

فالشخص الذي لديه اتساع بالمدى الزمني، تكون معتقداته وتوقعاته حول المستقبل واقعية، مؤسسة على الوعي بالماضي والحاضر. فهو يدرك ويستمتع بالحاضر ويعمل في الوقت نفسه كما لو ان الحاضر نهاية للماضي وبداية للمستقبل، فيما الشخص الذي لديه ضيق بالمدى الزمني يكون دائم الانشغال والتحدث عن الماضي او الحاضر او المستقبل. وهنا يكون حال الانشداد للماضي كحال العجوز الذي يظل يتحدث عن ماضيه، او الحركات الايديولوجية التي تبحث عن نماذجها في الماضي، فيما يكون حال الانشداد للحاضر كحال السيكلوباتي المشدود للحاضر بسبب (الأنا العليا) غير المكبوت، او كحال الطفل المنشغل بالحاضر فقط. اما الانشداد للمستقبل فهو كحال بعض الحركات السياسية التي تهتم بالمستقبل وتعد الحاضر ممراً لها، ولا تكتثر بالظلم والمعاناة التي تحدث في الحاضر، على اعتبار ان الأهم هو المستقبل الذي تريد الوصول اليه. الذي يكون عند الحركات الدينية المنطرفة هو..الخلود في الجنة!

الشخص الذي لديه اتساع  
بالمدى الزمني، تكون  
معتقداته وتوقعاته حول  
المستقبل واقعية، مؤسسة على  
الوعي بالماضي والحاضر. فهو  
يدرك ويستمتع بالحاضر ويعمل  
في الوقت نفسه كما لو ان  
الحاضر نهاية للماضي وبداية  
للمستقبل

الشخص الذي لديه ضيق  
بالمدى الزمني يكون دائم  
الانشغال والتحدث عن الماضي  
او الحاضر او المستقبل

اما الانشداد للمستقبل فهو  
كحال بعض الحركات السياسية  
التي تهتم بالمستقبل وتعد  
الحاضر ممراً لها، ولا تكتثر  
بالظلم والمعاناة التي تحدث في  
الحاضر، على اعتبار ان الأهم  
هو المستقبل الذي تريد  
الوصول اليه

ان اصحاب الامتداد الزمني  
الضيق (الدوجماتيون  
المتطرفون) يرون ان الزمن  
الحاضر يذخر بالتعاسة والشقاء  
وان الأمل في المستقبل، وانه لا  
سبيل لتحقيق التقدم الاجتماعي  
الا بالعودة الى الماضي المجيد

ان الجمود الفكري هو (الأب) الفكري للتعصّب والتطرف.

ليس هذا فقط، بل ان اصحاب الامتداد الزمني الضيق (الدوجماتيون المتطرفون) يرون ان الزمن الحاضر يزخر بالتعاسة والشقاء وان الأمل في المستقبل، وانه لا سبيل لتحقيق التقدم الاجتماعي الا بالعودة الى الماضي المجيد، وانه من الضروري استخدام القوة احيانا لنشر المباديء التي يؤمن بها.

على وفق هذا التحليل فان حل اشكالية التداخل يتمثل ،من وجهة نظرنا ،بالاتي:

ان الجمود الفكري هو (الأب) الفكري للتعصب والتطرف. بمعنى انك تستطيع ان تصف المتطرف بأنه متعصب وجامد فكريا، وليس صحيحا ان تصف كل جامد فكريا بأنه متطرفا. وان الاختلاف بين هذه المفاهيم الثلاثة يكون كميا ونوعيا. فمن حيث الكم، يكون الجمود الفكري اكثر شيوعا بين الناس.. لاسيما المنتمين الى احزاب وكتل سياسية.. سواء كانت دينية ام علمانية.. بمعنى ان الجمود الفكري يمكن ان يوجد بين العلمانيين ايضا! . ومن حيث النوع ، يكون المتطرف هو الأكثر عنفا ويكون العدوان على الآخرين هو وسيلة تعامله الوحيدة معهم . يليه المتعصب الذي يستخدم العنف حين يتعرض هو او جماعته (طائفته) الى ظلم او خطر يهدد بالعدوان.. فيما لا يلجأ الجامد فكريا الى عنف او عدوان ضد الآخر المختلف.. بل يكتفي بالتسفيه او السخرية او التقنيد.. الذي نادرا ما يكون علميا.!

بمعنى انك تستطيع ان تصف المتطرف بأنه متعصب وجامد فكريا

يكون المتطرف هو الأكثر عنفا ويكون العدوان على الآخرين هو وسيلة تعامله الوحيدة معهم

لا يلجأ الجامد فكريا الى عنف او عدوان ضد الآخر المختلف.. بل يكتفي بالتسفيه او السخرية او التقنيد.. الذي نادرا ما يكون علميا.!

\*\*\* \*\*

## شبكة العلوم النفسية العربية

[www.arabpsynet.com](http://www.arabpsynet.com)

التأسيس : 2000/01/01

2015/01/01 : ربعة عشر عاما على التأسيس

الإطلاق على الويب: 2003/06/01

2014/06/01 : اثني عشر و ستة اشهر عاما على الويب (المتصفحون: تسع مائة و سبعون الفا )

التحديث: 2015/01/01

بمناسبة الذكرى الرابعة عشرة لتأسيس "شبكة العلوم النفسية العربية" ، تمكن طاقم الشبكة بفضل الله وعونه الى تحديث "الصفحة الرئيسية العربية" ، حيث أدخل تغييرات جذرية عليها من ناحية المظهر الجرافيكي و من ناحية المحتوى، معتمدين آخر التقنيات الحديثة لتطوير صفحات الويب، بما ييسر بشكل كبير تصفحها و البحث في قواعد بياناتها .  
الشكر موصول، الى كل من ساهم في تحقيق هذا الانجاز ... انا بكم نرقى ومعكم نسير  
الدرب رفعة بالعلوم النفسية في اوطاننا

شبكة / اربابسينت ... العصاد

منذ زات " ش.م.ن " من التأسيس الى اليوم

( الكتاب السنوي الثاني )

نحو تعاون بيبيري الحاديمي رقبيا بالعلوم النفسية و خدماتها

[www.arabpsynet.com/Documents/eArabpsynet11Years.pdf](http://www.arabpsynet.com/Documents/eArabpsynet11Years.pdf)